www.al-milani.com

اعرف الحق تعرف اهله
(٣٣)

الإمام المهدي

تأليف

آية الله السيد على الحسينى الميلانى

مركز الحقائق الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة والتعريف بالفكر الشيعي، بالبراهين العقليّة المتقنة والأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة، من أجل ترسيخها في أذهان المؤمنين، ودفع الشبهات المثارة حولها من قبل المخالفين، فقد بادر (مركز الحقائق الاسلامية) بإخراج سلسلة علمية ـ عقائدية، متنوّعة، تميّزت بجامعيتها بين العمق في النظر والقوّة في الاستدلال والوضوح في البيان، تحت عنوان (إعرف الحق تعرف أهله)، وهي من بحوث سماحة الفقيه المحقق آية الله الحاج السيد علي الحسيني الميلاني (دام ظلّه)، آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الملقى على عواتقنا في هذه الأيام التي كثرت فيها الشبهات وازدادت الانحرافات، سائلين الله عزّوجلّ أن يسدّد خطانا على نهج الكتاب والعترة الطاهرة كما أوصى الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

مركز الحقائق الاسلامية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

الإمام المهدي في عقيدتنا ـ نحن الشيعة الإمامية الإثني عشرية ـ هو الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

نعتقد بأنّه ابن الحسن العسكري سلام الله عليه، ومن أولاد الإمام الحسين، من أهل البيت سلام الله عليهم.

ونعتقد بأنّه مولود حي موجود، إلاّ أنّه غائب عن الأبصار.

عقيدتنا هذه من ضروريّات مذهبنا، والتشكيك في هذه العقيدة من أبناء هذا المذهب خروج عن المذهب.

ولو أردنا أنْ نتكلّم مع أبناء غير هذا المذهب وندعوا الآخرين إلى

هذه العقيدة، فلابدّ وأنْ نستدلّ بأدلّة مقبولة وبأُسلوب متين، نخاطب بها أهل العلم والإنصاف منهم، لا الذين لا تنفعهم الموعظة الحسنة ولا جدوى للبحث معهم ولو جئت بألف دليل، بل يقابلونك بالسبّ والشتم والفرية والبهتان، كما هو دأب أتباع ابن تيميّة، وهذه جملٌ ممّا كتبته يد شيخهم في الكتاب المسمّى بـ(منهاج السنّة):

الامام المهدي عند ابن تيميّة

قال: «ومن حماقتهم أيضاً: أنهم يجعلون للمنتظر عدّة مشاهد ينتظرونه فيها، كالسّرداب الذي بسامرّاء، الذي يزعمون أنّه غاب فيه، ومشاهد أخر. وقد يقيمون هناك دابّة ـ إمّا بغلة وإمّا فرساً وإمّا غير ذلك ـ ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إمّا في طرفي النهار وإمّا في أوقات أُخر من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا أُخرج، يا مولانا أُخرج، ويشهرون السّلاح ولا أحد هناك يقاتلهم، وفيهم من يقوم في أوقات الصلاة دائماً، لا يصلي خشية أن يخرج وهو في الصّلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم في أماكن بعيدة عن مشهده، كمدينة النبي صلّى الله عليه وسلّم، إمّا في العشر الأواخر من شهر رمضان وإمّا في غير ذلك، يتوجّهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه.

ومن المعلوم: أنه لو كان موجوداً وقد أمره الله بالخروج، فإنه يخرج سواء نادوه أو لم ينادوه، وإن لم يؤذن له فهو لا يقبل منهم، وأنه إذا

خرج فإنّ الله يؤيّده ويأتيه بما يركبه وبمن يعينه وينصره لا يحتاج إلى أن يوقف له دائماً من الآدميّين من ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً!

واللّٰه سبحانه قد عاب في كتابه من يدعو من لا يستجيب له دعاءه... هذا مع أنّ الأصنام موجودة، وكان يكون فيها أحياناً شياطين تتراءى لهم وتخاطبهم، ومن خاطب معدوماً كانت حالته أسوء من حال من خاطب موجوداً وإن كان جماداً. فمن دعا المنتظر الذي لم يخلقه اللّٰه كان ضلاله أعظم من ضلال هؤلاء، وإذا قال: أنا أعتقد وجوده، كان بمنزلة قول أولئك: نحن نعتقد أن هذه الأصنام لها شفاعة عند اللّٰه، فيعبدون من دون اللّٰه ما لا ينفعهم ولا يضرّهم ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عنداللّٰه، والمقصود أن كليهما يدعو من لا ينفع دعاؤه، وإن كان أولئك اتّخذوهم شفعاء آلهة وهؤلاء يقولون: هو إمام معصوم، فهم يوالون عليه ويعادون عليه كموالاة المشركين على آلهتهم، ويجعلونه ركناً في الإيمان لا يتم الدّين إلاّ به، كما يجعل بعض المشركين آلهتهم كذلك...»[1].

قال: «وأيضاً: فصاحب الزّمان الذي يدعون إليه، لا سبيل للناس إلى معرفته ولا معرفة ما يأمرهم به وما ينهاهم عنه وما يخبرهم به، فإن

كان أحد لا يصير سعيداً إلاّ بطاعة هذا الذي لا يعرف أمره ولا نهيه، لزم أنه لا يتمكّن أحد من طريق النجاة والسعادة وطاعة اللّٰه، وهذا من أعظم تكليف ما لا يطاق، وهم من أعظم الناس إحالةً له.

وإن قيل: بل هو يأمر بما عليه الإماميّة. قيل: فلا حاجة إلى وجوده ولا شهوده، فإن هذا معروف سواء كان هو حيّاً أو ميّتاً، وسواء كان شاهداً أو غائباً... لكن الرّافضة من أجهل الناس، وذلك أن فعل الواجبات العقليّة والشرعيّة، وترك المستقبحات العقليّة والشرعيّة، إمّا أن يكون موقوفاً على معرفة ما يأمر به وينهى عنه هذا المنتظر، وإمّا أن لا يكون موقوفاً، فإن كان موقوفاً لزم تكليف ما لا يطاق، وأن يكون فعل الواجبات وترك المحرّمات موقوفاً على شرط لا يقدر عليه عامّة الناس بل ولا أحد منهم، فإنّه ليس في الأرض من يدّعي دعوى صادقة أنه رأى هذا المنتظر أو سمع كلامه. وإن لم يكن موقوفاً على ذلك أمكن فعل الواجبات العقليّة والشرعيّة وترك القبائح العقلية والشرعية بدون هذا المنتظر، فلا يحتاج إليه ولا يجب وجوده ولا شهوده...»[2].

قال: «وقد رأيت طائفةً من شيوخ الرافضة كابن العود الحلّي يقول: إذا اختلفت الإمامية على قولين أحدهما يعرف قائله والآخر لا يعرف قائله، كان القول الذي لا يعرف قائله هو القول الحق الذي يجب اتّباعه،

لأنّ المنتظر المعصوم في تلك الطائفة.

وهذا غاية الجهل والضّلال، فإنّه ـ بتقدير وجود المنتظر المعصوم ـ لا يعلم أنه قال ذلك القول، إذ لم ينقله عنه أحد ولا عمّن نقله عنه، فمن أين يجزم بأنه قوله؟... فكان أصل دين هؤلاء الرّافضة مبنيّاً على مجهول ومعدوم...»[3].

قال: «وأيّ من فرض إماماً نافعاً في بعض مصالح الدين والدنيا، كان خيراً ممّن لا ينتفع به في شيء من مصالح الإمامية... فهل يكون أبعد عن مقصود الإمامة وعن الخير والكرامة ممّن سلك منهاج الندامة؟»[4].

---

(١) منهاج السنة ١ / ٤٤ ـ ٤٧.

(٢) منهاج السنة ١ / ٨٧ ـ ٨٨.

(٣) منهاج السنة ١ / ٨٩ ـ ٩٠.

(٤) منهاج السنة ١ / ١٠٠ ـ ١٠١.

«وهذا المنتظر لم ينتفع به لا مؤمن به ولا كافر به»[٥].

«ومن المعلوم المتيقّن: أنّ هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللّطف، سواء كان ميّتاً كما يقوله الجمهور، أو كان حيّاً كما تظنّه الإماميّة، وكذلك أجداده المتقدّمون لم يحصل بهم شيء من المصلحة واللّطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان...»[٦].

قال: «وكلّ من تولّى كان خيراً من المعدوم المنتظر الذي تقول

الرافضة إنه الخلف الحجّة...»[٧].

قال: «إنّ طوائف ادّعى كلّ منهم أنه المهدي المبشّر به، مثل مهدي القرامطة الباطنية... وممّن ادّعى أنه المهدي، ابن التومرت... ومثل عدّة آخرين... .

وبكلّ حال، فهو وأمثاله خير من مهدي الرافضة الذي ليس له عين ولا أثر...»[٨].

قال: «بل حصل باعتقاد وجوده من الشرّ والفساد ما لا يحصيه إلاّ رب العباد»[٩].

قال: «قد ذكر محمّد بن جرير الطبري وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ: إن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب»[١٠].

هذا، وسيكون بحثنا عن الامام المهدي عليه السلام، لبيان عقيدتنا فيه ودفع الشبهات عنه في فصول:

---

(٥) منهاج السنة ١ / ١٣٣.

(٦) منهاج السنة ٣ / ٣٧٨.

(٧) منهاج السنة ١ / ٥٤٨.

(٨) منهاج السنة ٨ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٩) منهاج السنة ٨ / ٢٥٩.

(١٠) منهاج السنة ٨٧/٤.

الفصل الأوّل

وفيه مطالب

المطلب الأول

في أنّ لهذه الأُمة مهديّاً

لا خلاف بين المسلمين في أنّ لهذه الأُمّة مهديّاً، وأنّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم قد أخبر به وبشّر به وذكر له أسماء وصفات وألقاباً وغير ذلك، والروايات الواردة في كتب الفريقين حول هذا الموضوع أكثر وأكثر من حدّ التواتر، ولذا لا يبقى خلاف بين المسلمين في هذا الإعتقاد، ومن اطّلع على هذه الأحاديث وحقّقها وعرفها، ثمّ كذّب أصل هذا الموضوع مع الإلتفات إلى هذه الناحية، فقد كذّب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم فيما أخبر به.

الروايات الواردة بأسانيد الفريقين موجودة في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من مصادر الحديث، وقد أُلّفت في هذا الخصوص كتب جمع فيها العلماء الكبار من السّابقين واللاّحقّين ما ورد في المهدي على لسان النبي الكريم، وهناك آيات كثيرة من القرآن الكريم

مفسّرة ومأوّلة بالمهدي سلام اللّٰه عليه.

وحينئذ، لا يُعبأ ولا يعتنى بقول شاذ من مثل ابن خلدون المؤرّخ[11]، حتّى أنّ بعض علماء السنّة كتبوا ردوداً على رأيه في هذه المسألة.

ومن أشهر المؤلّفين والمدوّنين لأحاديث المهدي سلام اللّٰه عليه من أهل السنّة في مختلف القرون:

أبو بكر ابن أبي خيثمة، المتوفى سنة ٢٧٩.

نعيم بن حمّاد المروزي، المتوفى سنة ٢٨٨.

أبو حسين ابن منادي، المتوفى سنة ٣٣٦.

أبو نعيم الإصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

أبو العلاء العطّار الهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩.

عبدالغنى المقدسي، المتوفى سنة ٦٠٠.

ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨.

سعدالدين الحموي، المتوفى سنة ٦٥٠.

أبو عبداللّٰه الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨.

---

(١١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٣١١، الفصل الثاني والخمسون.

يوسف بن يحيى المقدسي، المتوفى سنة ٦٥٨.

ابن قيّم الجوزية، المتوفى سنة ٦٨٥.

ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

شهاب الدين ابن حجر المكّي، المتوفى سنة ٩٧٤.

علي بن حسام الدين المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥.

نور الدين علي القاري الهروي، المتوفى سنة ١٠١٤.

محمّد بن علي الشوكاني القاضي، المتوفى سنة ١٢٥٠.

أحمد بن صدّيق الغماري، المتوفى سنة ١٣٨٠.

وهؤلاء أشهر المؤلّفين في أخبار المهدي منذ قديم الأيام، وفي عصرنا أيضاً كتب مؤلَّفة من قبل كتّاب هذا الزمان، لا حاجة إلى ذكر أسماء تلك الكتب.

رواة الحديث من الصّحابة

وقد أخرجوا أحاديث المهدي عن جماعة كبيرة من أصحاب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله يعسر عدّهم، ونحن نذكر أسماء بعضهم:

الامام أمير المؤمنين عليه السلام.

الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء.

الامام السبط الاكبر الحسن بن علي.

سيد الشهداء الحسين بن علي.

عبداللّٰه بن مسعود.

أبو ذر الغفاري.

أبو أيوب الأنصاري.

عبداللّٰه بن العباس.

عمار بن ياسر.

أبو سعيد الخدري.

حذيفة بن اليمان.

عمر بن الخطاب.

عبدالرحمن بن عوف.

عثمان بن عفان.

طلحة بن عبيداللّٰه.

جابر بن عبدالله الانصاري.

أُم سلمة أُم المؤمنين.

عائشة بنت أبي بكر.

وهناك جماعة كبيرة من علماء أهل السنّة في مختلف القرون يصرّحون بتواتر ما ورد في المهدي عليه السلام، اكتفي بذكر أسماء بعضهم:

١ ـ الحافظ جمال الدين المزّي، المتوفى سنة ٧٤٢[١٢]

٢ ـ الفقيه المفسّر الكبير القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١[١٣]

٣ ـ الحافظ ابن قيّم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١[١٤]

٤ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢[١٥]

٥ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١[١٦]

٦ ـ الحافظ ابن حجر المكّي، المتوفى سنة ٩٧٤[١٧]

٧ ـ الشيخ علي المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥[١٨]

٨ ـ الفقيه أحمد زيني دحلان الشافعي، المتوفى سنة ١٣٠٤[١٩]

وهناك جماعة آخرون يصرّحون بصحة تلك الأحاديث في أقل تقدير، ومنهم:

١ ـ الترمذي صاحب الصحيح.

٢ ـ محمّد بن حسين الأبري، المتوفى سنة ٣٦٣.

٣ ـ أبو بكر البيهقي، صاحب السنن الكبرى.

٤ ـ الفرّاء البغوي محيي السنة.

٥ ـ ابن الأثير الجزري.

٦ ـ شمس الدين الذهبي.

٧ ـ نور الدين الهيثمي.

---

(١٢) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٤٦.

(١٣) تفسير القرطبي ٨ / ١٢١.

(١٤) المنار المنيف: ١٣٥.

(١٥) تهذيب التهذيب ٩ / ١٢٥، فتح الباري ٦ / ٣٨٥.

(١٦) إبراز الوهم المكنون: ٤٣٦ لأبي الفيض الغماري.

(١٧) الصواعق المحرقة: ١٦٢.

(١٨) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ١٧٨.

(١٩) الفتوحات الإسلامية ٢ / ٢١١.

إذنْ، لا يبقى مجالٌ للمناقشة في أصل مسألة المهدي في الإسلام، ومن أنكره فهو كافر بلا خلاف.

المطلب الثاني

في الأحاديث المتواترة في المهدي

إنه لابدّ في كلّ زمان من إمام يعتقد المسلمون بإمامته ويقتدون به، ويطيعونه في كلّ الامور ويجعلونه الحجة بينهم وبين ربّهم (**لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ**) و(**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَة وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَة**) و(**لِلّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ**).

وإذا رجعنا إلى السنّة النبويّة القطعيّة وجدنا ثلاثة أحاديث متواترة في هذا الباب تنصّ بمجموعها على ضرورة وجود الامام في كلّ زمان وأن عددهم اثنا عشر وأنّهم من أهل البيت الطاهرين.

الحديث الأوّل

في أنّ من مات ولم يعرف امام زمانه فميتته جاهلية

إنّه لابدّ في كلّ زمان من إمام يجب على الأُمة معرفته والإيمان به والإطاعة له، بحث لو مات المسلم ولم يعرفه كانت ميتته جاهليّة.

وقد ورد هذا المضمون بأسانيد كثيرة عن رجال ثقاة، ولا نظنّ أنّ أحداً من الناس يجرأ على المناقشة في أسانيد هذه الروايات ومداليلها، إنّها روايات واردة في الصحيحين، وفي المسانيد، وفي السنن، وفي المعاجم، وفي جميع كتب الحديث والروايات، وهذه مقبولة عند الفريقين.

فقد اتفق المسلمون على رواية: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة».

هذا الحديث بهذا اللّفظ موجود في بعض المصادر، وقد أرسله الشيخ سعدالدين التفتازاني إرسال المسلّم، وبنى عليه بحوثه في كتابه شرح المقاصد[٢٠].

وللحديث ألفاظ أُخرى، إلاّ أنّي أعتقد بأنّ جميع هذه الألفاظ لابدّ وأن ترجع إلى معنى واحد، ولابدّ أن تنتهي إلى مقصد واحد يقصده

رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، وهو ما قدّمناه من ضرورة وجود إمام هاد للأُمّة في كلّ زمان، يجب الإقتداء به والأخذ بهديه... .

فمثلاً في مسند أحمد: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[٢١]، وكذا في عدّة من المصادر: كمسند أبي داود الطيالسي[٢٢]، وصحيح ابن حبّان[٢٣]، والمعجم الكبير للطبراني[٢٤]، وغيرها.

وعن بعض الكتب إضافة بلفظ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه فليمتْ إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»، وقد نقله بهذا اللفظ بعض العلماء عن كتاب المسائل الخمسون للفخر الرازي.

وله أيضاً ألفاظ أُخرى موجودة في السنن، وفي الصحاح، وفي المسانيد أيضاً، نكتفي بهذا القدر، ونشير إلى بعض الخصوصيات الموجودة في لفظ الحديث:

«من مات ولم يعرف»، لابدّ وأنْ تكون المعرفة هذه مقدمة للإعتقاد، «من مات ولم يعرف» أي: من مات ولم يعتقد بإمام زمانه، لا مطلق إمام الزمان، بإمام زمانه الحق، بإمام زمانه الشرعي، بإمام زمانه

المنصوب من قبل اللّه سبحانه وتعالى.

---

(٢٠) شرح المقاصد ٥ / ٢٣٩.

(٢١) مسند أحمد ٤ / ٩٦، حديث معاوية بن أبي سفيان.

(٢٢) مسند أبي داود الطيالسي: ٢٥٩.

(٢٣) صحيح ابن حبان ١٠ / ٤٣٤، رقم ٤٥٧٣، وفيه: «من مات وليس له إمام».

(٢٤) المعجم الكبير ١٩ / ٣٨٨، حديث ٩١٠.

«من مات ولم يعرف إمام زمانه» بهذه القيود «مات ميتة جاهلية» وإلاّ لو كان المراد من إمام الزمان أيّ حاكم سيطر على شؤون المسلمين وتغلَّب على أُمور المؤمنين، لا يكون معرفة هكذا شخص واجبة، ولا يكون عدم معرفته موجباً للدخول في النار، ولا يكون موت الجاهل به غير التابع له موت جاهلية، هذا واضح.

إذن، لابدّ من أن يكون الإمام الذي تجب معرفته إمام حق، وإماماً شرعياً، فحينئذ، على الإنسان أن يعتقد بإمامة هذا الشخص، ويجعله حجةً بينه وبين ربّه، وهذا واجب، بحيث لو أنّه لم يعتقد بإمامته ومات، يكون موته موت جاهلية، وبعبارة أُخرى: «فليمت إنْ شاء يهودياً وإنْ شاء نصرانيّاً».

وذكر المؤرّخون: أنّ عبدالله بن عمر، الذي امتنع من بيعة أمير المؤمنين سلام الله عليه، طرق على الحجّاج بابه ليلاً ليبايعه لعبدالملك، كي لا يبيت تلك اللّيلة بلا إمام، وكان قصده من ذلك هو العمل بهذا الحديث كما قال، فقد طرق باب الحجّاج ودخل عليه في تلك الليلة وطلب منه أن يبايعه قائلاً: سمعت رسول الله يقول: «من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية»، لكن الحجّاج احتقر عبدالله بن عمر، ومدّ رجله وقال: بايع رجلي، فبايع عبدالله بن عمر الحجّاج بهذه الطريقة.

وطبيعي أنّ من يأبى عن البيعة لمثل أمير المؤمنين عليه السلام يبتلي في يوم من الأيّام بالبيعة لمثل الحجّاج وبهذا الشكل.

وكتبوا بترجمة عبدالله بن عمر، وفي قضاياه الحرة بالذات، تلك الواقعة التي أباح فيها يزيد بن معاوية المدينة المنورة ثلاثة أيام، أباحها لجيوشه يفعلون ما يشاؤون، وأنتم تعلمون ما كان وما حدث في تلك الواقعة، حيث قتل عشرات الآلاف من الناس، والمئات من الصحابة والتابعين، وافتضت الأبكار، وولدت النساء بالمئات من غير زوج.

في هذه الواقعة أتى عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع، فقال عبدالله بن مطيع: إطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إنّي لم آتك لكي أجلس، أتيتك لأُحدّثك حديثاً، سمعت رسول الله يقول: «من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٢٥].

فقضيّة وجوب معرفة الإمام في كلّ زمان والإعتقاد بإمامته والإلتزام ببيعته، أمر مفروغ منه ومسلّم، وتدلّ عليه الأحاديث، وسيرة الصحابة، وسائر الناس، ومنها ما ذكرت لكم من أحوال عبدالله بن عمر الذي يجعلونه قدوة لهم، إلاّ أنّ عبدالله بن عمر ذكروا أنّه كان يتأسّف

على عدم بيعته لأمير المؤمنين عليه السلام، وعدم مشاركته معه في القتال مع الفئة الباغية، وهذا موجود في المصادر، فراجعوا الطبقات لابن سعد[٢٦] والمستدرك للحاكم[٢٧] وغيرهما من الكتب.

---

(٢٥) صحيح مسلم ٣ / ١٤٧٨، حديث ١٨٥١.

(٢٦) طبقات ابن سعد ٤ / ١٨٥ ـ ١٨٦، وفيه: «ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلاّ أنّي لم أُقاتل الفئة الباغية، ما آسى عن الدنيا إلاّ على ثلاث ظمأ الهواجر ومكابدة الليل وألاّ أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلّت بنا».

وعلى كلّ حال، لسنا بصدد الكلام عن عبدالله بن عمر أو غيره، وإنّما أردت أن أذكر لكم نماذج من الكتاب والسنّة وسيرة الصحابة على أنّ هذه المسألة ـ مسألة أنّ في كلّ زمان وإمام حقٌّ من الله، لابدّ وأنْ يعتقد المسلمون بإمامته ويجعلونه حجةً بينهم وبين ربّهم ـ من ضروريات عقائد الإسلام.

هذا، وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ مما اتفق المسلمون على روايته عنه ـ قوله «إنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّة» في كلام له حيث قال:

«اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إما ظاهراً مشهوراً

وإمّا خائفاً مغموراً، لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته».

قال ابن حجر العسقلاني: «وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هذه الامّة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال: إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّة»[٢٨].

وقال ابن أبي الحديد بشرح كلامه عليه السلام: «كي لا يخلو الزمان ممّن هو مهيمن لله تعالى عباده ومسيطر عليهم، وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلاّ أن أصحابنا يحملونه على أن المراد به الأبدال»[٢٩].

وقد غفل أصحاب ابن أبي الحديد عن كلمة «الحجة»، فإن مصداق هذه الكلمة لا يكون إلاّ المعصوم، ولا يقول أحد بعصمة الأبدال.

وغفلوا كذلك عن قوله: «لئلاّ تبطل...»، فإنّ ذلك لا يتحقق بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله إلاّ بالإمام عليه السلام.

فما اعترف به ابن أبي الحديد هو الصحيح.

---

(٢٧) مستدرك الحاكم ٣ / ٥٥٨، وفيه: «ما آسى على شيء» وتكملتها في الهامش (١): بياض في الأصل، لعلّ العبارة السّاقطة هي: (إلاّ أنّي لم أُقاتل مع علي رضي الله عنه الفئة الباغية).

(٢٨) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٦ / ٣٨٥، وتجد الحديث في غيره من المصادر السنّية، كتفسير الرازي ٢ / ١٩٢ وشرح المقاصد ٥ / ٣٨٥، تاريخ بغداد ٦ / ٣٧٩ والعقد الفريد ١ / ٢٦٥، عيون الأخبار لأبي قتيبة: ٧.

وفي الكافي ١ / ١٣٦، وكمال الدين ١ / ٢٨٧ وغيرهما من كتب الامامية.

(٢٩) شرح نهج البلاغة ١٨ / ٣٥١.

الحديث الثاني

في أن النبي ترك بين الأُمة خليفتين

فقد تواتر عنه صلّى اللّٰه عليه وآله بالألفاظ المختلفة، أنه ترك بين الأُمة أمرين وجعلهما الخليفتين له من بعده، ما إنْ تمسّكت بهما لنْ تضل، أحدهما: كتاب اللّٰه والآخر أهل بيته عترته، وأخبر بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض يوم القيامة:

ومنها: ما أخرجه أحمد بإسناده عن زيد بن ثابت قال:

«قال رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه [وآله] وسلّم ـ إني تارك فيكم خليفتين كتاب اللّٰه حبل ممدود ما بين السّماء والأرض، أو ما بين السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٣٠].

ومنها: ما أخرجه الترمذي بإسناده عن جابر بن عبداللّٰه قال:

«رأيت رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه [وآله] وسلّم ـ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس، قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب اللّٰه وعترتي أهل بيتي»[٣١].

ومنها: ما أخرجه ابن سعد وأحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال:

«قال رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه [وآله] وسلّم ـ أيها الناس: إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي، أمر بيّن، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّٰه حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[٣٢].

ومنها: ما عن ابن أبي شيبة أنه أخرجه في (المصنّف) بإسناده عن جابر بن عبداللّٰه قال: «قال رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه [وآله] وسلّم ـ إني تركت فيكم ما لن تضلّوا بعدي إن اعتصمتم به: كتاب اللّٰه وعترتي أهل بيتي».

ومنها: ما أخرجه الترمذي باسناده عن زيد بن أرقم قال:

«قال رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه [وآله] وسلّم ـ إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر; كتاب اللّٰه حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٣٣].

ومنها: ما أخرجه الحاكم النيسابوري عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال:

---

(٣٠) مسند أحمد ٥ / ١٨١.

(٣١) صحيح الترمذي ٥ / ٦٢١.

(٣٢) الدر المنثور ٢ / ٦٠.

(٣٣) صحيح الترمذي ٥ / ٦٢١.

«نزل رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم ـ بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس ودوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثم راح رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم ـ عشية فصلّى ثم قال خطيباً، فحمد اللّٰه وأثنى عليه وذكّر ووعظ فقال ما شاء اللّٰه أن يقول، ثم قال: أيّها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب اللّٰه وأهل بيتي عترتي، ثم قال: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ـ ثلاث مرّات ـ قالوا: نعم. فقال رسول اللّٰه ـ صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم ـ : من كنت مولاه فعلي مولاه»[٣٤].

ومنها: ما أخرجه الحاكم عن يحيى بن جعدة عن زيد بن أرقم قال:

«أخبرني محمد بن علي الشيباني بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا أبو نعيم، ثنا كامل أبو العلاء، قال: سمعت حبيب بن أبي ثابت يخبر عن يحيى بن جعدة عن زيد بن أرقم ـ رضي اللّٰه عنه ـ قال:

خرجنا مع رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، حتى انتهينا إلى

غدير خم، فأمر بدوح فكسح في يوم ما أتى علينا يوم كان أشدّ حراً منه، فحمد اللّٰه وأثنى عليه وقال: يا أيّها الناس: إنّه لم يبعث نبي قط إلاّ ما عاش نصف ما عاش الذي كان قبله. وإني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم ما لن تضلّوا بعده: كتاب اللّٰه عزّوجل. ثم قام فأخذ بيد علي ـ رضي اللّٰه عنه ـ فقال: يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: اللّٰه ورسوله أعلم: قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه».

وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح[٣٥].

ومنها: ما أخرجه الطبراني بإسناده عن زيد بن أرقم قال:

«نزل النبي صلّى اللّٰه عليه [وآله] وسلّم يوم الجحفة، ثم أقبل على الناس، فحمد اللّٰه وأثنى عليه ثم قال: إني لا أجد لنبي إلاّ نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نصحت. قال: أليس تشهدون أن لا إله إلاّ اللّٰه وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق والنار حق، وأن البعث بعد الموت حق؟ قالوا: نشهد، قال: فرفع يديه فوضعهما على صدره، ثم قال: وأنا أشهد معكم. ثم قال:

ألا تسمعون! قالوا: نعم. قال: فإني فرطكم على الحوض وأنتم

واردون عليَّ الحوض، وإنّ عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين:

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول اللّٰه؟

---

(٣٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١١٠.

(٣٥) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٣٣.

قال: كتاب اللّٰه، طرف بيد اللّٰه عزّوجل، وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلّوا، والآخر: عترتي. وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض. وسألت ذلك لهماربي.

فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

ثم أخذ بيد علي ـ رضي اللّٰه عنه ـ فقال: من كنت أولى به من نفسه فعلي وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[٣٦].

قال العلماء: وهذا الحديث وصيّة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله:

قال ابن حجر المكي: «وقد جاء الوصية الصّريحة بهم في عدّة أحاديث، منها حديث: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي الثقلين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب اللّٰه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. قال الترمذي: حسن غريب. وأخرجه آخرون.

ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية، كيف! وفي صحيح مسلم وغيره...»[٣٧].

وقال الحافظ السخاوي في (استجلاب ارتقاء الغرف): «قد جاءت الوصية الصريحة بأهل البيت في غيرها من الأحاديث، فعن سليمان بن مهران الأعمش...» إلى آخر عبارته[٣٨].

وقال الحافظ السمهودي في (جواهر العقدين): «الذكر الرابع: في حثّه صلّى اللّٰه عليه [وآله] وسلّم الأمة على التمسّك بعده بكتاب ربهم، وأهل بيت نبيّهم، وأن يخلفوه فيهما بخير، وسؤاله من يرد عليه الحوض عنهما، وسؤال ربه عزّوجل الأمة كيف خلفوا نبيّهم فيهما، ووصيّته بأهل بيته، وأنّ اللّٰه تعالى أوصاه بهم...»[٣٩].

بل جاء في أحد ألفاظ الحديث:

«أُوصيكم بكتاب اللّٰه وعترتي»[٤٠].

وقال العلماء أيضاً: إن هذا الحديث يدلّ على وجود من هو أهلٌ من أهل البيت لأن يتمسّك به ويهتدى به إلى يوم القيامة.

قال ابن حجر المكي: «وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع مستأهل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما سيأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كلّ خلف من أمتي عدول من أهل بيتي»[٤١].

وقال الحافظ الشريف السمهودي في تنبيهات حديث الثقلين:

---

(٣٦) المعجم الكبير ٥ / ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٣٧) الصواعق المحرقة: ٩٠.

(٣٨) استجلاب ارتقاء الغرف ١ / ٣٣٦.

(٣٩) جواهر العقدين: ٢٣١.

(٤٠) لسان العرب «عتر».

(٤١) الصواعق المحرقة: ٩٠.

«ثالثها: إن ذلك يفهم وجود من يكون أهلا للتمسّك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمان وجدوا فيه إلى قيام الساعة، حتى يتوجّه الحثّ المذكور إلى التمسّك به، كما أن الكتاب العزيز كذلك ـ ولهذا كانوا ـ كما سيأتي ـ أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض»[٤٢].

وكذا قال المناوي بشرح الجامع الصغير ٣ / ١٥.

والزرقاني المالكي بشرح المواهب اللدنية ٧ / ٨ .

ونقلا كلام الشريف السمهودي الحافظ المذكور... .

وقال الشريف الحافظ السمهودي: «الذين وقع الحثّ على
التمسّك بهم من أهل البيت النبوي والعترة الطاهرة هم العلماء بكتاب اللّه عزّوجل، إذ لا يحثّ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم على التمسّك بغيرهم، وهم الذين لا يقع بينهم وبين الكتاب افتراق حتى يردا الحوض، ولهذا قال: لا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»[٤٣].

وقال الشيخ القاري في شرح المشكاة: «وأقول: الأظهر هو أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطّلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا عدلا لكتاب اللّه سبحانه، كما قال: (**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**)»[٤٤].

ولقد نصَّ نظام الدين النيسابوري في (تفسيره) على ضوء حديث الثقلين على كون «عترته» صلّى اللّه عليه وآله وسلّم «ورثته، يقومون مقامه» وهذه عبارته بتفسير قوله تعالى: (**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**) قال:

«وكيف تكفرون، استفهام بطريق الإنكار والتعجّب. والمعنى: من
أين يتطرّق إليكم الكفر والحال أن آيات اللّه تتلى عليكم على لسان الرسول صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم غضّةً في كلّ واقعة، وبين أظهركم رسول اللّه يبيّن لكم كلّ شبهة ويزيح عنكم كلّ علّة... .

أمّا الكتاب، فإنه باق على وجه الدهر.

وأمّا النبيّ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم، فإنه وإن كان مضى إلى رحمة اللّه في الظاهر، ولكنّ نور سرّه باق بين المؤمنين، فكأنه باق، على أنّ عترته صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم ورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر أيضاً، ولهذا قال: إني تارك فيكم الثقلين...»[٤٥].

---

(٤٢) جواهر العقدين: ٢٤٤.

(٤٣) جواهر العقدين: ٢٤٣.

(٤٤) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٦٠٠.

(٤٥) غرائب القرآن = تفسير النيسابوري ١ / ٣٤٧.

الحديث الثالث

في أنّ الخلفاء بعد النبي اثنا عشر

فقد عيّن صلّى اللّٰه عليه وآله عدد الأئمة الذين تجب معرفتهم ومن مات بلا معرفة منه لهم فميتة ميتة جاهليّة، والخلفاء الذين لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم إلى يوم القيامة:

أخرج أحمد عن مسروق قال: كنّا جلوساً عند عبداللّٰه بن مسعود وهو يقرئ القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، هل سألتم رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله كم يملك هذه الأُمة من خليفة؟ فقال عبداللّٰه: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول اللّٰه فقال: اثني عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل»[٤٦].

وأخرج مسلم: «لا يزال الذين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»[٤٧].

وأخرج البخاري عن جابر بن سمرة قال: «سمعت النبي صلّى اللّٰه عليه وآله يقول: يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها. فقال أبي انه قال: كلّهم من قريش»[٤٨].

---

(٤٦) مسند أحمد ٥ / ٩٠.

(٤٧) صحيح مسلم ٢ / ١١٩.

(٤٨) صحيح البخاري ٤ / ١٦٤.

المطلب الثالث

في أنّ المهدي من أهل البيت

إنّ النّبي صلّى اللّه عليه وآله صرّح بكون المهدي ـ الذي يملأ اللّه به الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ـ من أهل بيته.

وهذا أيضاً ممّا تواتر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في أحاديث المسلمين، كما عرفت التصريح بذلك في بعض الكلمات... ومن ذلك:

ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم ـ واللفظ للأول ـ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «لا تقوم السّاعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٤٩].

وما أخرجه ابن ماجة في باب خروج المهدي عن علي قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «المهدي منّا أهل البيت يصلحه اللّه في ليلة»[٥٠].

وما أخرجه أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري: قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً قال: ثم يخرج رجل من عترتي ـ أو من أهل بيتي ـ يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»[٥١].

وأخرجه الحاكم بالسّند بلفظ «أهل بيتي» وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ووافقه الذهبي في تلخيصه[٥٢].

وأخرجه عن أبي سعيد الخدري بلفظ «من عترتي» قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقعه الذهبي[٥٣].

---

(٤٩) مسند أحمد ١ / ٣٧٦، سنن الترمذي ٣ / ٣٤٣، سنن أبي داود ٤ / ١٥١.

(٥٠) سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٦٧.

(٥١) مسند أحمد ٣ / ٣٦.

(٥٢) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٧.

(٥٣) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٨.

ومنها ما جاء في أنّ المهدي من ولد فاطمة عليها السلام، ومنها:

ما أخرجه أبو داود وابن ماجة وغيرهما عن أُمّ سلمة عن النبي عليه السلام: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[٥٤].

وأخرجه الحاكم والذهبي عن سعيد بن المسيّب عن أُم سلمة أنها سمعت رسول اللّٰه يذكر المهدي فقال: «نعم هو حق وهو من بني فاطمة»[٥٥].

وصحّح في التاج سندي أبي داود والحاكم[٥٦].

ومنها ما نصَّ فيها على أنه من ولد الحسين الشهيد عليه السلام، وهي كثيرة، نذكر منها ثلاث روايات:

الرواية الأُولى: قوله صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل اللّٰه عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي، فقام سلمان الفارسي فقال: يا رسول اللّٰه، من أيّ ولدك؟ قال: من وَلَدي هذا. وضرب بيده على الحسين».

هذه الرواية في المصادر عن أبي القاسم الطبراني[٥٧]، وابن عساكر الدمشقي، وأبي نعيم الإصفهاني، وابن قيّم الجوزية، ويوسف بن يحيى المقدسي[٥٨]، وشيخ الإسلام الجويني[٥٩]، وابن حجر المكي صاحب الصواعق[٦٠].

الرواية الثانية: قوله صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم لبضعته الزهراء سلام اللّٰه عليها وهو في مرض وفاته: «ما يبكيك يا فاطمة، أما علمت أنّ اللّٰه أطّلع إلى الأرض إطّلاعه أو اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبيّاً، ثمّ اطّلع ثانية فاختار بعلك، فأوحى إليّ فأنكحته إيّاك واتّخذته وصيّاً، أما علمت أنّكِ بكرامة اللّٰه إيّاك زوّجك أعلمهم علماً، وأكثرهم حلماً، وأقدمهم سلماً. فضحكت واستبشرت فأراد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم أن يزيدها مزيد الخير، فقال لها: ومنّا مهدي الأُمّة الذي يصلّي عيسى خلفه، ثمّ ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الأُمّة».

وهذه الرواية رواها كما في المصادر: أبو الحسن الدارقطني، أبو المظفر السمعاني، أبو عبداللّٰه الكنجي، وابن الصبّاغ المالكي[٦١].

الرواية الثالثة: قوله صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم: «يخرج المهدي من ولد الحسين من قبل المشرق، لو استقبلته الجبال لهدمها واتّخذ فيها طرقاً».

هذه الرواية كما في المصادر عن نعيم بن حمّاد: والطبراني، وأبي نعيم، والمقدسي صاحب كتاب عقد الدرر في أخبار المنتظر[٦٢].

---

(٥٤) سنن أبي داود، المستدرك، سنن ابن ماجة، التاج ٥ / ٣٤٣.

(٥٥) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٥٥٧.

(٥٦) التاج الجامع للاصول ٥ / ٣٤٣.

(٥٧) المعجم الكبير ١٠ / ١٦٦، حديث ١٠٢٢٢، باختلاف.

(٥٨) عقد الدرر في أخبار المنتظر: ٥٦.

(٥٩) فرائد السمطين ٢ / ٣٢٥، عن حذيفة بن اليمان.

(٦٠) الصواعق المحرقة: ٢٤٩.

(٦١) البيان في أخبار صاحب الزمان للكنجي الشافعي (ضمن كفاية الطالب): ٥٠٢، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٢٩٦.

(٦٢) الفتن لنعيم بن حماد ١ / ١٧١، حديث ١٠٩٥، عقد الدرر: ٢٨٢ عن الطبراني وأبي نعيم، وانظر الحاوي للفتاوى ٢ / ٦٦ عن ابن عساكر.

المطلب الرابع

في أنّ المهدي ابن الامام العسكري وهو مولود

قد عرفنا إلى الآن، وعلى ضوء الأحاديث المتواترة المتفق عليها،

الاتفاق على نقاط:

النقطة الأُولى: إنّ في هذه الأُمّة مهديّاً، وأنّ الاعتقاد به من ضروريات هذا الدين الحنيف.

النقطة الثانية: إنّه من أهل بيت رسول اللّٰه وعترته الأطهار الذين أمر باتّباعهم والتمسّك بهم وحذّر من مخالفتهم والتقدّم عليهم... .

النقطة الثالثة: إنه من الاثني عشر الذين أخبر عن كونهم الخلفاء من بعده والأئمة الذين تجب طاعتهم والاقتداء بهم، وهم من أهل بيته لا من غيرهم.

النقطة الرّابعة: إنه من ولد الامام الحسين بن علي الشهيد، وإذا كان

من ولد الحسين، فهو ابن الامام الحسن العسكري عليه السلام، ابن الإمام الهادي ابن الإمام الجواد، ابن الإمام الرضا، ابن الإمام الكاظم، ابن الإمام الصادق، ابن الإمام الباقر، ابن الإمام علي بن الحسين، ابن الإمام الحسين بن علي، ابن الإمام علي بن أبي طالب. عليه السلام.

لقد كانت هذه النقاط هي حصيلة المطالب المتقدّمة.

وإذا كانت الأرض لا تخلو من امام حقٍّ من أهل بيت رسول اللّٰه وهم اثنا عشر فقط، فالمهدي هو الثاني عشر منهم، فهو مولود موجود، وهذه هي النتيجة الحتميّة لطوائف الأحاديث القطعية التي ذكرناها.

ولهذا نرى أنّ كثيراً من علماء أهل السنّة يعترفون بكون المهدي ابن الإمام الحسن العسكري وأنه مولود حي موجود:

ذكر بعض من قال بذلك منهم:

أحمد بن محمّد بن هاشم البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩.

أبو بكر عمر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨.

أبو محمّد عبداللّٰه بن الخشّاب، المتوفى سنة ٥٦٧.

إبن الأزرق المؤرّخ، المتوفى سنة ٥٩٠.

الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦.

ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠.

ابن عربي الاندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨.

كمال الدين ابن طلحة، المتوفى سنة ٦٥٢.

سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.

أبو عبدالله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨.

صدر الدين القونوي، المتوفى سنة ٦٧٢.

شمس الدين ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١.

صدر الدين الحموئي، المتوفى سنة ٧٢٣.

شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.

عمر بن الوردي، المتوفى سنة ٧٤٩.

صلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤.

شمس الدين ابن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣ .

ابن الصبّاغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥ .

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.

الشيخ عبدالوهاب الشعراني، المتوفى سنة ٩٧٣.

ابن حجر المكّي، المتوفى سنة ٩٧٤.

الشيخ علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٣.

الشيخ عبدالحق الدهلوي، المتوفى سنة ١٠٥٢.

شاه ولى الله الدهلوي، المتوفى سنة ١١٧٦.

الشيخ القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤.

الفصل الثاني

الأخبار المعارضة

عقدنا هذا الفصل لِما قد يروى في بعض كتب أهل السنّة مخالفاً لِما ثبت عند المسلمين ويُدّعى كونه معارضاً لما ورد متواتراً عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله... حتى لا يخلو الكتاب من هذه الناحية، ولا يبقى ريبٌ فيما اتفقت عليه الأُمة.

إنّ هذه الأخبار كلّها موضوعة أو محرّفة أو شاذة لا تصلح

لمعارضة ما صحّ أو تواتر، وهي كما يلي:

حديث: لا مهدي إلاّ عيسى بن مريم

انفرد بروايته ابن ماجة، حيث قال:

«حدّثنا يونس بن عبدالأعلى، ثنا محمّد بن إدريس الشافعي، حدّثني محمّد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك: إن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم قال: لا يزداد الأمر إلاّ شدّة ولا الدنيا إلاّ إدباراً ولا الناس إلاّ شحّاً، ولا تقوم الساعة إلاّعلى شرار

الناس، ولا مهدي إلاّ عيسى بن مريم»[٦٣].

قلت: هذا الحديث تكذّبه أخبار المهدي عند أهل البيت عليهم السلام وأحاديثه الواردة بالتواتر من طرق غيرهم، ولذا، فقد ضعّفه الأئمّة كالحاكم والبيهقي وغيرهما[٦٤]، وقد تكلّم علماء القوم في رجاله، قالوا في سنده: «محمّد بن خالد الجَندي» وهو المنفرد بروايته، ولذا أوردوه بترجمته:

فقال المزّي: «محمّد بن خالد الجندي الصنعاني المؤذّن، روى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس حديث: لا مهدي إلاّ عيسى بن مريم... روى له ابن ماجة حديث المهدي... قال أبو بكر بن زياد: وهذا حديث غريب... وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: هذا حديث تفرّد به محمّد بن خالد الجندي. قال أبو عبداللّٰه الحافظ: ومحمّد بن خالد رجل مجهول، واختلفوا في إسناده...»[٦٥].

---

(٦٣) سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٤٠.

(٦٤) التاج الجامع للاصول ٥ / ٣٤١.

(٦٥) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٥١.

وقال الذهبي: «محمّد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح. روى عنه الشافعي. قال الأزدي: منكر الحديث، وقال أبو عبدالله الحاكم: مجهول. قلت: حديثه لا مهدي إلاّ عيسى بن مريم. وهو خبر منكر، أخرجه ابن ماجة...»[٦٦].

وقال ابن حجر: «محمّد بن خالد الجندي، بفتح الجيم والنون، المؤذّن مجهول. من السابعة ـ ق»[٦٧].

قلت:

و«أبان بن صالح» وإنْ وثّقه الأئمة ـ كما قالوا ـ لكن عن الحافظين ابن عبدالبر وابن حزم أنهما ضعّفاه[٦٨]، وقال الذهبي: «لكن قيل: إنّه لم يسمع من الحسن، ذكره ابن الصّلاح في أماليه»[٦٩].

و«الحسن» هو: الحسن البصري المعروف المشهور، وعداده في بعض الكتب في مبغضي علي عليه السلام، ولذا ورد الذم فيه عن أهل البيت، بل قيل بتواتر ذلك عنهم[٧٠]، وأما أهل السنّة، فإنّهم وإنْ رووا عنه في الصّحاح الستة وعدّوه من الزُّهاد الثمانية، فقد نصوا على أنه كان كثير الإرسال والتدليس[٧١].

قلت:

و«يونس بن عبدالأعلى» وإنْ وثّقوه إلاّ أنّه متّهم بالكذب في هذا الخبر، فقد قال الحافظ المزّي: «وروى الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق بإسناده عن أحمد بن محمّد بن رشدين قال: حدّثني أبو الحسن علي بن عبيدالله الواسطي قال: رأيت محمّد بن إدريس الشافعي في المنام فسمعته يقول: كذب عليَّ يونس في حديث الجندي حديث الحسن عن أنس عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في المهدي. قال الشافعي: ما هذا من حديثي ولا حدّثت به، كذب عليَّ يونس»[٧٢].

هذا كلّه، بالإضافة إلى أنّ الذّهبي قال: وللحديث علة اخرى... فذكرها[٧٣].

هذا، وقد جاء في النّصوص الصحيحة المتكاثرة أنّ عيسى بن مريم ينزل ويصلّي خلف المهدي، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم بسندهما عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[٧٤].

---

(٦٦) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٥.

(٦٧) تقريب التهذيب ٢ / ١٥٧.

(٦٨) تهذيب التهذيب ١ / ٨٢ .

(٦٩) ميزان الإعتدال ٣ / ٥٣٥.

(٧٠) تنقيح المقال ١ / ٢٦٩.

(٧١) تقريب التهذيب ١ / ١٦٥.

(٧٢) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٤٩.

(٧٣) ميزان الإعتدال ٣ / ٥٣٥.

(٧٤) صحيح البخاري، باب نزول عيسى من كتاب بدء الخلق، صحيح مسلم الباب من كتاب الإيمان.

وما أخرجه أحمد بسنده عنه انّه قال في حديث فيه ذكر الدجّال: «فإذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدّم يا روح اللّٰه. فيقول: ليتقدّم إمامكم فيصلّ بكم»[٧٥].

قال المناوي: «فإنّه ينزل عند صلاة الصبح على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة فيحسُّ به فيتأخّر ليتقدم، فيقدّمه عيسى عليه السلام ويصلّي خلفه. فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الامّة»[٧٦].

قال أبو الحسن الآبري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ـ يعني في المهدي ـ وأنّه من أهل بيته، وأنّه يملك سبع سنين، ويملأ الأرض عدلاً، وأنّه يخرج عيسى بن مريم فيساعده على قتل الدجّال بباب اللّد بأرض فلسطين، وأنه يؤمّ هذه الامّة وعيسى ـ صلوات اللّٰه عليه ـ يصلّي خلفه. في طول من قصّته وأمره»[٧٧].

وقال السيوطي ردّاً على من أنكر هذا «هذا من أعجب العجب، فإنّ صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدّة أخبار صحيحة، بإخبار رسول اللّٰه صلّى اللّٰه على وسلّم، وهو الصّادق المصدّق الذي
لا يخلف خبره»[٧٨].

أقول:

فظهر سقوط قول السّعد التفتازاني: «فما يقال: إن عيسى يقتدي بالمهدي أو بالعكس، شيء لا مستند له، فلا ينبغي أنْ يعوّل عليه»[٧٩].

حديثٌ في أنّ المهدي من ولد الحسن

أخرج صاحب المشكاة عن أبي إسحاق، قال: «قال علي ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ قال: إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم، وسيخرج من صلب رجل يسمّى باسم نبيّكم، يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق. ثم ذكر قصّة: يملأ الأرض عدلاً. رواه أبو داود ولم يذكر القصة»[٨٠].

قال القاري بشرحه: «فهذا الحديث دليل صريح على ما قدّمناه من أنّ المهدي من أولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الأُم إلى الحسين، جمعاً بين الأدلّة. وبه يبطل قول الشيعة: إن المهدي هو محمّد بن الحسن العسكري القائم المنتظر، فإنّه حسيني بالإتّفاق.

لا يقال: لعلَّ عليّاً رضي اللّٰه تعالى عنه أراد به غير المهدي. فإنّا نقول: يبطله قصّة يملأ الأرض عدلاً، إذ لا يعرف في السادات الحسينية ولا الحسنية من ملأ الأرض عدلاً إلاّ ما ثبت في حق المهدي الموعود»[٨١].

---

(٧٥) مسند أحمد ٣ / ٣٦٧.

(٧٦) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ٦ / ١٧.

(٧٧) تهذيب الكمال ٢٥ / ١٤٩.

(٧٨) الحاوي للفتاوي ٢ / ١٦٧.

(٧٩) شرح المقاصد ٥ / ٣١٣.

(٨٠) مشكاة المصابيح ٣ / ١٥٠٣.

(٨١) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ١٦٨.

أقول: إنّه لا دليل في الأُصول الستّة المسمّاة بالصحاح عند القوم على أنّ «المهدي» من ولد «الحسن» إلاّ هذا الحديث، وهو ليس إلاّ في (سنن أبي داود). قال ابن الأثير: [د ـ أبو إسحاق، عمرو بن عبدالله السبيعي رحمه الله. قال قال علي ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ فقال... ثم ذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً] أخرجه أبو داود ولم يذكر القصّة»[٨٢].

وقال الشيخ منصور: «عن علي رضي الله عنه قال ـ وقد نظر إلى ابنه الحسن ـ : إن ابني هذا سيّد كما سمّاه النبي صلّى الله عليه وسلّم، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيّكم يشبه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق. وعنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: يخرج رجل من وراء النهر... رواهما أبو داود»[٨٣].

أقول:

إذا كان هذا هو الدليل الوحيد للقول بأنّ «المهدي» من ولد
«الحسن» فلابدّ من التأمّل فيه سنداً ولفظاً ومدلولاً:

أما سند الحديث، فقد جاء في سنن أبي داود: «قال أبو داود: حدّثت عن هارون بن المغيرة قال: نا عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال قال علي... ثم ذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً»[٨٤].

ويكفي لوهنه ما في أوّل السّند وآخره. أمّا أوّله، فأبو داود يقول: «حدّثت عن هارون بن المغيرة» فمن الذي حدّثه به؟ وأمّا في آخره، فأبو إسحاق السبيعي إنما رأى عليّاً عليه السلام رؤيةً فقط، فلابدّ وأنّه حُدّث بذلك، فمن الذي حدّثه به؟

هذا، وقد جاء في حاشية جامع الاصول عن الحافظ المنذري: «قال المنذري: هذا منقطع، أبو إسحاق رأى علياً رؤية فقط. وقال فيه أبو داود: حدّثت عن هارون بن المغيرة» كما جاء في حاشية المشكاة: «إسناد الحديث ضعيف».
وأمّا لفظه، فمختلف صدراً وذيلاً، أمّا صدره ففي أنّه «الحسن» أو «الحسين»، فقد قال القندوزي الحنفي «وعن أبي اسحاق قال: قال علي ـ ونظر إلى ابنه الحسين ـ قال: إن ابني هذا سيد... ثم ذكر قصّة يملأ
الأرض عدلاً. رواه أبو داود ولم يذكر القصّة»[٨٥] وهذا نفس ما جاء في (جامع الاصول) و(المشكاة) نقلاً عن (أبي داود) إلاّ أنه بلفظ «الحسين» لا «الحسن».

هذا بالنسبة إلى حديث أبي داود، وكذلك الأمر بالنسبة إلى حديث غيره من أحاديث الباب، الواردة في بعض الكتب، فهذا السّلمي الشافعي يروي في كتاب (عقد الدرر في أخبار المنتظر) عن الأعمش عن أبي وائل مثلَ حديث أبي إسحاق السبيعي، لكن النسخ مختلفة، فعن النسخة الأصليّة، وكذا المستنسخة عن خطّ المؤلّف: «نظر إلى الحسين» وفي بعض النسخ الاخرى منه: «نظر إلى الحسن».

---

(٨٢) جامع الاصول ١١ / ٤٩.

(٨٣) التاج ٥ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٨٤) صحيح أبي داود ٢ / ٢٠٨.

(٨٥) ينابيع المودة: ٥١٨.

وروى عن الحافظ أبي نعيم في (صفة المهدي) حديث حذيفة الآتي عن (ذخائر العقبى)، فكان في النسخة الأصليّة والمكتوبة عن خطّه أيضاً: «وضرب بيده على الحسين»، لكنْ في بعض النسخ الاخرى: «الحسن»[٨٦].

فهل وقع هذا الاختلاف عندهم من جهة الشبه بين لفظي «الحسن» و«الحسين» كتابةً، أو كان هناك قصد وعمد من بعض المغرضين كيلا تصل الحقائق إلى الأُمّة كما هي وكما تروى عن أهل
البيت الذين أدرى بما في البيت؟ إنّه وإنْ لم نستبعد الإحتمال الأوّل لكنّ الذي يقوى في النظر هو الثاني، لقرائن كثيرة عندنا تؤيّده، لا سيّما فيما يتعلّق بأهل البيت، وحتّى في هذا المورد عثرنا على قرينة قويّة على أنّ القوم كانوا يحاولون كتم الحقيقة ـ وهي كون «المهدي» من ولد «الحسين» ـ أو كانوا يمتنعون من التصريح بها والله العالم بسبب ذلك!! وذلك:

ما رواه الإمامان الحافظان أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، وأبو عبدالله بن حماد، عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيّب: أحق المهدي؟ قال: نعم، هو حق. قلت: ممّن هو؟ قال: من قريش. قلت: من أي قريش؟ قال: من بني هاشم. قلت: من أيّ بني هاشم؟ قال: من ولد عبدالمطلب. قلت: من أيّ ولد عبدالمطلب؟ قال: من أولاد فاطمة. قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن»[٨٧].

قلت: فلماذا «حسبك الآن»؟ الله أعلم!!

وأمّا ذيله، فقد عرفت أنّ أبا داود يقول: «وذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً» فمن الذي «ذكر»؟ ولماذا لم يذكر أبو داود القصّة، كما نبّه عليه ابن الأثير وصاحب المشكاة وغيرهما؟ ثم جاء صاحب (التاج) فلم
يذكر قوله: «وذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً» أصلاً، ممّا يؤكّد أنّ هذه القطعة لم تكن من الحديث، ويزيده تأكيداً أن الحافظ البيهقي رواه في كتاب (البعث والنشور) عن أبي إسحاق كذلك، أي إلى قوله: «يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق»[٨٨].

وأما مفاد الحديث ومدلوله، فإنه بعد ما عرفت الإضطراب في لفظه ومتنه لا يدل على شيء، فلا يبقى مجال لما ذكره القاري، ويسقط ما ادّعاه من أن الحديث يبطل ما تذهب إليه الشيعة الإماميّة! وأيضاً: يبقى الإشكال الذي أورده بقوله: «لا يقال: لعلّ علياً...» على حاله، إذ قصّة «يملأ الأرض عدلاً» لم يظهر كونها من الحديث عن علي عليه السلام لو كان بلفظ «الحسن».

حديث: إسم أبيه إسم أبي

وهنا بحثان:

أحدهما: في أنّ الحديث بلفظ «اسمه اسمي» بدون «واسم أبيه اسم أبي».

---

(٨٦) عقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر: ٢٣ ـ ٢٤.

(٨٧) عقد الدرر: ٢٣.

(٨٨) عقد الدرر: ٣١.

والثاني: في أن الحديث بلفظ «إسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» من رواه؟ وما إسناده؟

البحثُ الأوّل:

أخرج أحمد في مسند عبدالله بن مسعود عن عمر بن عبيد عن عاصم ابن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبدالله قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك رجل من أهل بيتي اسمه يواطئ اسمي»[٨٩].

وعن يحيى بن سعيد عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبدالله عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: لا تذهب الدنيا أو قال: لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ويواطئ اسمه اسمي»[٩٠].

ورواه بنفس السند واللفظ مرة أُخرى[٩١].

وعن عمر بن عبيد الطنافسي، عن عاصم عن زر عن عبدالله باللّفظ[٩٢].

وفي رواية التّرمذي: «حدّثنا عبيد بن أسباط بن محمّد القرشي الكوفي قال: حدّثني أبي، حدّثنا سفيان الثوري عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبدالله قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا تذهب الدنيا
حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي. قال أبو عيسى: وفي الباب عن: علي وأبي سعيد وأُمّ سلمة وأبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح»[٩٣].

البحث الثاني: والحديث في رواية أبي داود كذلك، غير أنّه رواه في أحد الأسانيد بزيادة لفظ «واسم أبيه اسم أبي» وهذا نصّ ما ذكره:

«حدّثنا مسدد: إن عمر بن عبيد حدّثهم. وثنا محمّد بن العلاء ثنا أبو بكر ـ يعني ابن عيّاش ـ . ح وثنا مسدّد ثنا يحيى، عن سفيان، وثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبيدالله بن موسى، أخبرنا زائدة. ح وثنا أحمد بن إبراهيم حدّثني فطر ـ المعنى واحد ـ كلّهم عن عاصم، عن زر، عن عبدالله، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم، قال زائدة: لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل منّي أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي. زاد في حديث فطر: يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وقال في حديث سفيان: لا تذهب ـ أو لا تنقضي ـ الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي.

قال أبو داود: لفظ عمر وأبي بكر بمعنى سفيان»[٩٤].

---

(٨٩) مسند أحمد ١ / ٣٧٦.

(٩٠) مسند أحمد ١ / ٣٧٧.

(٩١) مسند أحمد ١ / ٤٣٠.

(٩٢) مسند أحمد ١ / ٤٤٨.

(٩٣) صحيح الترمذي ٤ / ٤٣٨.

(٩٤) سنن أبي داود ٢ / ٢٠٧.

فظهر التطابق في الرواية لحديث عبدالله بن مسعود بين رواية أحمد والترمذي وأبي داود، وهو المطابق لما تذهب إليه الإماميّة، ووافقهم عليه من غيرهم كثيرون من أنّه «محمّد بن الحسن العسكري» فاسمه يواطئ اسم جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وانفرد أبو داود برواية الحديث بسند فيه «زائدة» بزيادة لفظ «واسم أبيه اسم أبي».

وقد تكلّم علماء الفريقين على هذا اللفظ سنداً ومعنىً وأجابوا عنه بوجوه عديدة، لا حاجة بنا إلى التطويل بإيرادها بعد ما تقرّر لزوم طرح الشاذ النادر من الأخبار، والأخذ بالمجمع عليه، لكون المجمع عليه لا ريب فيه.

الفصل الثالث

التساؤلات والشبهات

قال سعد الدين التفتازاني:

زعمت الإمامية من الشيعة أن محمّد بن الحسن العسكري اختفى عن الناس خوفاً من الأعداء، ولا استحالة في طول عمره كنوح ولقمان والخضر عليه السلام ـ هذا رأي الشيعة ـ وأنكر ذلك سائر الفرق، لأنّه ادّعاء أمر مستبعد جدّاً، ولأنّ اختفاء إمام هذا القدر من الأنام بحيث لا يذكر منه إلاّ الإسم بعيد جدّاً، ولأنّ بعثه مع هذا الإختفاء عبث، ولو سلّم فكان ينبغي أنْ يكون ظاهراً، فما قيل أو فيما يقال: إنّ عيسى يقتدي بالمهدي أو بالعكس شيء لا مستند له، فلا ينبغي أنْ يعوّل عليه[٩٥].

هذا غاية ما توصّل إليه متكلّمهم سعد الدين التفتازاني.

أقول: إن تطرح هذه الأسئلة كبحوث علمية ومناقشات، فلا مانع، ويا حبّذا لو تطرح كذلك ويلتزم فيها بالآداب والأخلاق والمتانة،

ولا يكون هناك شتم وسبّ وتهجّم وتهريج واستهزاء، وهكذا فعل بعض العلماء وبعض الكتّاب المعاصرين.

إلاّ أنّنا إذا راجعنا (منهاج السنّة) وجدناه في فصل البحث عن المهدي قد ملأ كتابه حقداً وبغضاً وعناداً وسبّاً وشتماً وتهريجاً وتكذيباً للحقائق!!! بحيث لو أنّكم أخرجتم من كتاب منهاج السنّة ما يتعلّق بالمهدي وما اشتمل عليه من السب والشتم لجاء كتاباً مستقلاً، وقد أوردنا في المقدمة بعض ذلك.

وقد تبعه أولياؤه في هذا المنهج من كتّاب زماننا وفي خصوص المهدي سلام الله عليه واعتقاد الشيعة في المهدي، تراهم يتهجّمون ويسبّون وينسبون إلينا الأكاذيب، ويخرجون عن حدود الآداب، ومع الأسف يكون لكتبهم قرّاء ومن يروّج لها في بعض الأوساط.

والحقيقة، أنّه تارةً يشك الباحث في أحاديث المهدي، أو يُناقش في أحاديث «الأئمّة الإثنا عشر»، أو لا يرتضي حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه» فهذا له وجه، بمعنى أنّه يقول: بأنّي لا أُوافق على صحّة هذه الأحاديث، فيبقى على رأيه، ولا يتكلّم معه إن لم يقتنع بما في الكتب، لا سيّما بروايات أبناء مذهبه.

وأمّا بناء على أنّ هذه الأحاديث مخرّجة في الصحاح، وفي السنن، والمسانيد، والكتب المعتبرة، وأنّها أحاديث متّفق عليها بين السلمين،

وأنّ الإعتقاد بالمهدي عليه السلام أو الإعتقاد بالإمام في كلّ زمان واجب، وأنّ المهدي هو الثاني عشر في الحديث المعروف

---

(٩٥) شرح المقاصد ٥ / ٣١٣.

المتفق عليه، فيكون البحث بنحو آخر، لأنّه إنْ كان الباحث موافقاً على هذه الأحاديث، وعلى ما ورد من أنّ المهدي ابن الحسن العسكري، فلا محالة يكون معتقداً بولادة المهدي عليه السلام، كما اعتقدوا، وذكرنا أسماء كثيرين منهم.

١ ـ مسألة طول العمر

نعم، منهم من يستبعد طول العمر، بأنْ يبقى الإنسان هذه المدة في هذا العالم، وهذا مستبعد كما عبّر السعد التفتازاني، فإن التفتازاني لم يكذّب ولادة المهدي من الحسن العسكري سلام اللّه عليه، وإنّما استبعد أن يكون الإمام باقياً هذه المدة من الزمان.

ولذا نرى بعضهم يعترف بولادة الإمام عليه السلام ثمّ يقول: «مات»، يعترف بولادته بمقتضى الأدلّة الموجودة لكنّه يقول بموته، لعدم تعقّله بقاء الإنسان في هذا العالم هذا المقدار من العمر، لكن هذا يتنافى مع «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» حيث قرّرنا أنّ هذا الحديث يدلّ على وجود إمام في كلّ زمان.

ولذا نرى البعض الآخر منهم يلتفت إلى هذه النواحي، فلا يقول مات، بل يقول: «لا ندري ما صار»، ولد، إلاّ أنّه لا ندري ما صار، ما وقع

عليه، لا يعترف ببقائه، لأنّه يستبعد البقاء هذه المدة، ولا ينفي البقاء لأنّه يتنافى مع الأحاديث، يعترف بالولادة فيقول: لا ندري ما صار، وأين صار، وما وقع عليه، ممّا يظهر أنّهم ملتزمون بهذه الأحاديث، ومن التزم بهذه الأحاديث لابدّ وأن يلتزم بولادة المهدي عليه السلام ووجوده.

ثمّ الإستبعاد دائماً وفي كلّ شيء، وفي كلّ أمر من الأُمور، الإستبعاد يزول إنْ حدث له نظير، لو أنّك تيقّنت عدم شيء أو عدم إمكان شيء، فوقع فرد واحد ومصداق واحد لذلك الشيء، ذلك الإعتقاد بالعدم الذي كنت تجزم به مائة بالمائة سيكون تسعين بالمائة، لوقوع فرد واحد، فإذا وقع فرد آخر، وإذا وقع فرد ثالث، ومصداق رابع، هذا الإعتقاد الذي كان مائة بالمائة ثمّ أصبح تسعين بالمائة ينزل على ثمانين، وسبعين، و، و، إلى خمسين وتحت الخمسين، فحينئذ، نقول للسعد التفتازاني:

إنّ اللّه سبحانه وتعالى أمكنه أنْ يعمّر نوحاً هذا العمر، أمكنه أن يبقي خضراً في هذا العالم هذه المدة، أمكنه سبحانه وتعالى أنْ يبقي عيسى حيث هو حيّاً هذه المدّة، الذي هو من ضروريات عقائد المسلمين، ومن يمكنه أنْ ينكر وجود عيسى؟!

وأيضاً: في رواياتهم هم يثبتون وجود الدجال الآن، يقولون بوجوده منذ ذلك الزمان.

فإذا تعدّدت الأفراد، وتعدّدت المصاديق، وتعدّدت الشواهد،

يقلّ الإستبعاد يوماً فيوماً.

وهذه الإكتشافات والإختراعات التي ترونها يوماً فيوماً قد حوّلت المستحيلات إلى ممكنات.

فحينئذ، ليس للسعد التفتازاني وغيره إلاّ الإستبعاد، وقد ذكرنا أنّ الإستبعاد يزول شيئاً فشيئاً.

يمثّل بعض علمائنا ويقول: لو أنّ أحداً ادّعى تمكّنه من المشي على الماء، يكذّبه الحاضرون، وكلّ من يسمع هذه الدعوى يقول: هذا غير ممكن، فإذا مشى على الماء وعبر النهر مرّةً يزول الإستغراب أو الإستبعاد من السامعين بمقدار

هذه المرّة، فإذا كرّر هذا الفعل وكرّره وكرّره أصبح هذا الفعل أمراً طبيعياً وسهل القبول للجميع، حينئذ هذا الإستبعاد يزول بوجود نظائر ذلك.

إلاّ أنّ ابن تيميّة ملتفت إلى هذه الناحية، فيكذّب أصل حياة الخضر ويقول: بأنّ أكثر العلماء يقولون بأنّ الخضر قد مات[٩٦]، فيضطرّ إلى هذه الدعوى، لأنّ هذه النظائر إذا ارتفعت رجع الإستبعاد مرة أُخرى.

لكنّك إذا رجعت مثلاً إلى الإصابة لابن حجر العسقلاني لرأيته يذكر الخضر من جملة الصحابة[٩٧].

ولو رجعت إلى كتاب تهذيب الأسماء واللغات للحافظ النووي الذي هو من علماء القرن السادس أو السابع يصرّح بأنّ جمهور العلماء على أنّ الخضر حي[٩٨]، فكان الخضر حيّاً إلى زمن النووي.

وإذا نزلت شيئاً فشيئاً تصل إلى مثل القاري في المرقاة[٩٩] وتصل إلى مثل شارح المواهب اللدنيّة، هناك يصرّحون كلّهم ببقاء الخضر إلى زمانهم، وحتّى أنّهم ينقلون قصصاً وحكايات ممن التقى بالخضر وسمع منه الأخبار والروايات، فحينئذ تكذيب وجود الخضر من قبل ابن تيميّة إنّما هو لعلة ولحساب، وهو يعلم بأنّ وجود الخضر خير دليل على أنّ هذا الإستبعاد ليس في محلّه.

على أنّ اللّٰه سبحانه وتعالى إذا اقتضت الحكمة أنْ يبقي أحداً في هذا العالم آلاف السنين إذا اقتضت الحكمة، فقدرته سبحانه وتعالى تطبّق تلك الإرادة، ومشيّته تطبَّق، وهو قادر على كلّ شيء.

فمسألة طول العمر، أصبحت الآن مسألة بسيطة الحلّ، وصار الجواب عن هذا السؤال سهلاً جدّاً في مثل زماننا.

وكان هذا هو السؤال الأوّل، ولعلّه الأهم.

٢ ـ لماذا غاب وكيف يستفاد منه؟

قال ابن تيميّة والسعد التفتازاني بأنّ المهدي لم يبق منه إلاّ الاسم ولم ينتفع منه أحد حتى القائلون بوجوده!

وقال الفخر الرازي في غير موضع من تفسيره بأنّ معرفة المهدي الذي تقول به الشيعة والانتفاع به تكليف بما لا يطاق!

فنقول:

أوّلاً: لقد أخبر الصّادق المصدّق بغيبة المهدي قبل ولادته بسنين طوال التنصيص على إمامته، في روايات كثيرة بالأسانيد الصّحيحة، فدلّت على امور:

الأول: إنّه إمام من اللّٰه.

والثاني: إنه يغيب.

---

(٩٦) منهاج السنّة ٤ / ٩٣.

(٩٧) الإصابة ١ / ٤٢٩.

(٩٨) تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٦، رقم ١٤٧.

(٩٩) مرقاة المفاتيح ٩ / ٩٦٢.

والثالث: إن لوجودة ونصبه فائدة، لأن اللّه لا يفعل عبثاً.

ومن تلك الروايات:

ما عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال: «لمّا أنزل اللّه عزّوجل على نبيّه محمّد صلّى اللّه عليه وآله: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**)[100] قلت: يا رسول اللّه، عرفنا اللّه ورسوله،

فمن أُولوا الأمر الذين قرن اللّه طاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه السلام: «هم خلفائي يا جابر، وأئمّة المسلمين (من) بعدي أوّلهم عليُّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن والحسين، ثمّ عليُّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليٍّ المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليٍّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليٍّ، ثمّ عليُّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليٍّ، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة اللّه في أرضه، وبقيّته في عباده ابن الحسين بن عليٍّ، ذاك يفتح اللّه تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن اللّه تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن اللّه قلبه للإيمان»، قال جابر: فقلت له: يا رسول اللّه فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال صلّى اللّه عليه وآله: «إي والذي بعثني بالنبوَّة إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سرِّ اللّه، ومخزون علمه، فاكتمه إلاّ عن أهله»[101].

وما عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه

عليه وآله: لابدّ للغلام من غيبة. فقيل له: ولم يا رسول اللّه؟ قال: يخاف القتل»[102].

وما عن أبي عبداللّه عليه السلام عن آبائه قال قال رسول اللّه:

«المهدي من ولدي، اسمه اسمي وكنية كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[103].

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو معتقد به في حياته، يتولّى وليّه ويتبرأ من عدوّه ويتولى الأئمة الهادية من قبله. أولئك رفقائي وذوو ودّي واكرم أُمتي علي...»[104].

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه: من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته، مات ميتة جاهلية»[105].

---

(١٠٠) سوره النساء: الآية ٥٩.

(١٠١) إكمال الدين ١ / ٢٥٣.

(١٠٢) علل الشرائع ١ / ٢٤٣.

(١٠٣) كمال الدين ١ / ٢٨٧.

(١٠٤) المصدر ١ / ٢٨٦.

(١٠٥) المصدر ٢ / ٤١٢.

وعنه عن آبائه عليهم السلام عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله

قال: القائم من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنته سنتي، يُقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عزّ وجلّ، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبني، ومن صدقه فقد صدقني، إلى اللّٰه أشكو المكذبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، والمضلين لأمتي عن طريقته (**وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ**)[١٠٦]»[١٠٧].

وعنه في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... وليبعثنّ رجلاً من ولدي في آخر الزمان، يطالب بدمائنا، وليغيبنّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة حتى يقول الجاهل: ما للّٰه في آل محمّد من حاجة»[١٠٨].

وعنه عليه السلام قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبةً لابدّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل»[١٠٩].

وثانياً: إنّ مقتضى الأحاديث المتواترة عند الفريقين، في وجوب معرفة الامام في كلّ زمان، وأنّ الأئمة اثنا عشر، وأنهم من أهل بيت

رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله هو: أنْ يكون المهدي الإمام الثاني عشر، وأنْ يكون مولوداً موجوداً، وحيث أنه غير ظاهر فهو غائب عن الأبصار.

وثالثاً: إنّ الغيبة لا تنافي الامامة، لأنّ اللّٰه إنّما نصب الإمام لأن يهتدى به، ولأن يحتجّ به على الخلق، أمّا غيبة، فليس السبب لها هو اللّٰه ولا الامام نفسه.

ورابعاً: قال استاذ المحققين الشيخ نصير الدين الطوسي:

«وجوده لطف وتصرّفه لطف آخر وعدمه منّا».

قال شارحه العلاّمة الحلّي:

قالوا: الامام إنما يكون لطفاً إذا كان متصرفاً بالأمر والنهي، وأنتم لا تقولون بذلك فما تعتقدونه لطفاً لا تقولون بوجوبه وما تقولون بوجوبه ليس بلطفك. (والجواب) أنّ وجود الامام نفسه لطف لوجوه، أحدها: أنّه يحفظ الشرائع ويحرسها عن الزيادة والنقصان. وثانيها: أنّ اعتقاد المكلّفين لوجود الامام وتجويز انفاذ حكمه عليهم في كلّ وقت سبب لردعهم عن الفساد ولقربهم إلى الصلاح، وهذا معلوم بالضرورة. وثالثها: أنّ تصرّفه لا شكّ أنّه لطف ولا يتم إلاّ بوجوده فيكون وجوده نفسه لطفاً وتصرّفه لطفاً آخر.

والتحقيق أن نقول: لطف الامامة يتم بأُمور: (منها) ما يجب على التعالى وهو خلق الامام وتمكينه بالقدرة والعلم والنصّ عليه باسمه

ونسبه، وهذا قد فعله اللّٰه تعالى. (ومنها) ما يجب على الامام وهو تحمّله للامامة وقبوله لها، وهذا قد فعله الامام.

---

(١٠٦) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(١٠٧) كمال الدين ٢ / ٤١١.

(١٠٨) كتاب الغيبة للنعماني: ١٤٠.

(١٠٩) علل الشرائع ١ / ٢٤٥.

(ومنها) ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله، وهذا لم تفعله الرعية فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الامام»[١١٠].

وخامساً: إن المعترضين لا يعلمون بالفوائد المترتبة على وجود الامام في حال الغيبة، لأن هذه الامور لا يتوصّلون إليها ولا يمكنهم والإطّلاع عليها، إنّ الثقات من أبناء هذه الطائفة من علماء وغير علماء، لهم قضايا وحوادث وقصص وحكايات، تلك القضايا الثابتة المروية عن طرق الثقات مدوّنة في الكتب المعنيّة، وكم من قضية رجع الشيعة، عموم الشيعة، أو في قضايا شخصية، رجعوا إلى الإمام عليه السلام وأخذوا منه حلّ تلك القضية ورفع تلك المشكلة، إلاّ أنّ أعداء الأئمّة سلام الله عليهم والمنافقين لا يوافقون على مثل هذه الأخبار، وطبيعي أن لا يوافقوا، ومن حقّهم أن لا يعتقدوا.

مضافاً، إلى أنّ الله سبحانه وتعالى إنّما ينصب الإمام في كلّ أُمة، ويرسل الرسول إلى كلّ أُمّة، ليتمّ به الحجة، وكم من نبي قتلوه في أوّل يوم من نبوّته ودعوته، وكم من رسول صلبوه في اليوم الأوّل من رسالته،

وكم من الأنبياء حاربوهم وشرّدوهم وطردوهم، أيمكن أن يقال لله سبحانه وتعالى: بأنّ إرسالك هؤلاء الرسل والأنبياء كان عبثاً؟

وعلى الجملة، فإن هناك موانع لظهوره، وهي ليست من قبل الله ولا من قبل الإمام نفسه، وإنما من قبل النّاس، ومتى حصلت الأرضيّة اللاّزمة يظهر ويؤسّس الحكومة الإلهيّة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

وهذا متى يكون؟

العلم عند الله عزّوجل.

٣ ـ أين يعيش؟

وهذا من جملة الأسألة في مسألة الإمام وغيبته.

ولكنْ، أين يعيش الخضر؟ وأين يعيش غير الخضر من يعتقد المسلمون ببقائه في هذا العالم بحسب الروايات؟

وقد ورد في بعض كتبنا أن للامام عليه السلام مكاناً يسمّى بالجزيرة الخضراء، وظاهر كلام جماعة من أكابر علمائنا التصديق بالخبر، والله العالم.

وأمّا ما يهرّج به ابن تيميّة في كلامه المذكور سابقاً ويشنّع علينا من أنّا نعتقد بكون الامام عليه اسلام غائباً في السّرداب بمدينة سامرّاء... وكذا ابن خلدون المغربي إذ يقول:

«يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم ـ وهو محمّد بن الحسن العسكري ويلقبونه بالمهدي ـ دخل في سرداب بدارهم بالحلّة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هناك، وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي، وهم إلى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك، ويقفون في كلّ ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركباً فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية، وهم على ذلك لهذا العهد...»[١١١].

---

(١١٠) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٤٩١ ـ ٤٩٢.

(١١١) مقدمة ابن خلدون: ٣٥٢.

فمن الأكاذيب والإفتراءات على هذه الطائفة المظلومة، حتى لقد نظم بعض النواصب في الموضوع قصيدةً استهلّها بقوله:

أما آن للسرداب أن يلد الذي... .

وليتهم ذكروا حديثاً أو قولاً لأحد علماء الطائفة يؤيّدون به شيئاً من تلك المزاعم والتهم!

لكنّ أعلام الطائفة ـ قديماً وحديثاً ـ ينفون تلك النسب النفي القاطع، وإليك بعض كلماتهم:

قال الشيخ الإربلي: «والذين يقولون بوجوده، لا يقولون إنه في سرداب، بل يقولون إنه موجود يحلّ ويرتحل ويطوف في الأرض...»[١١٢].

وقال الشيخ النوري الطبرسي: «نحن كلّما راجعنا وتفحّصنا، لم نجد لما ذكروه أثراً، بل ليس في الأحاديث ذكر للسرداب أصلاً»[١١٣].

وقال السيّد الصّدر: «وأما بعض ما يقوله في هذا الباب بعض عوام الشيعة ونسبه إلينا كثير من خواص أهل السنة، فلا أعرف له مدركاً ولم أجد له مستنداً»[١١٤].

وقال الشيخ الأميني:

«وفرية السرداب أشنع وإن سبقه إليها غيره من مؤلفي أهل السنة لكنه زاد في الطمور نغمات، بضم الحمير إلى الخيول وادعائه اطراد العادة في كلّ ليلة واتصالها منذ أكثر من ألف عام. والشيعة لا ترى أن غيبة الامام في السرداب ولا هم غيبوه فيه ولا أنه يظهر منه، وإنما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم أنه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في السرداب: إنه مغيب ذلك النور، وإنما هو سرداب دار الأئمة بسامراء، وإن من المطرد إيجاد السراديب في الدور وقاية من قايظ الحرّ، وإنما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين
وأنه كان مبوأً لثلاثة منهم كبقية مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السلام ومشرفهم النبي الأعظم في أي حاضرة كانت، فقد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وليت هؤلاء المتقوّلين في أمر السرداب اتفقوا على رأي واحد في الأُكذوبة حتى لا تلوح عليها لوائح الافتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة في رحلته ٢ ص ١٩٨: إن هذا السرداب المنوّه به في الحلة، ولا يقول القرماني في أخبار الدول: إنه في بغداد، ولا يقول الآخرون: إنه بسامراء. ويأتي القصيمي من بعدهم فلا يدري أين هو، ليطلق لفظ السرداب ليستر سوأته... فعلم أنه لا دليل لما ذكر السويدي وغيره، ولا مستند لهم في هذه النسبة لا في حديث من الأحاديث، ولا في كلام لواحد من العلماء، وناهيك بهؤلاء النافين أئمة نياقد، وأعلاماً محيطين بالأخبار والآثار»[١١٥].

---

(١١٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٣ / ٢٨٣.

(١١٣) كشف الأستار عن وجه الامام الغائب عن الأبصار: ٢١٢.

(١١٤) المهدي: ١٥٥.

(١١٥) الغدير في الكتاب والسنّة والأدب ٣ / ٣٠٨.

قلت:

بل الأمر بالعكس، فقد أرسل كثير من علماء أهل السنّة هذا الأمر إرسال المسلّم كقاضي القضاة ابن خلّكان[١١٦] والحافظ الكنجي، وجعل

يدافع عن ذلك ويؤكّده ببعض الشواهد[١١٧].

هذا، ولا ينافي ما تقدّم عن علمائنا احترامنا للسّرداب الموجود بمدينة سامراء بجوار مرقد الإمامين العسكريّين، فهو بقعة متبرّكة يقصدها المؤمنون لكونه مسكن أهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

٤ ـ متى يظهر؟

لقد تقدّم أنّ ظهوره إنما يكون عند توفّر الأرضية المناسبة، ولذا جاء في رواياتنا:

«إنما أمرنا بغتة»[١١٨].

وهذه نقطة.

والنقطة الثانية: إن في رواياتنا[١١٩] أنّ حكومة الإمام المهدي ستكون مثل حكومة نبيّ الله داود عليه السلام، وتوضيح ذلك:

لقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنما أقضى بينكم بالبيّنات والأيمان، وبعضكم ألحن بحجّته من بعض، وأيّما رجل قطعت له قطعةً فإنما أقطع له قطعة من نار»[١٢٠].

أوضّح لكم هذه الرواية: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا تخاصم إليه رجلان على شيء من الأشياء يطلب من المدعي البيّنة، وحينئذ أنْ أقام البيّنة أخذ الشيء من المدعى عليه وسلّمه إلى المدعي، وهذا الحكم يكون على أساس البيّنة، يقول رسول الله إنّما أقضي عليكم، أو إنّما أقضي بينكم بالبيّنة، أمّا إذا كانت البيّنة كاذبة والمدعي أقامها وعن هذا الطريق تملّك الشيء، فليعلم أنه قطعة من النار، يقول ما معناه: أنا وظيفتي أنْ أحكم بينكم بحسب البيّنة، لكن أنت أيّها المدعي إنْ كنت تعلم بينك وبين ربّك أنّ الشيء ليس لك، فلا يجوز لك أخذه.

إذن، يكون الحكم الإسلامي والقضاء في المنازعات في زمن النبي وبعده على أساس القواعد المقرّرة، وهذه هي الأدلة الظاهرية المعمول بها.

فإذا جاء المهدي سلام الله عليه، لا يأخذ بهذه القواعد والأحكام الظاهرية، وإنّما يحكم طبق الواقع، فإذا جاء ورأى مثلاً أنّ الكتاب الذي بحوزتي هو لزيد، أخذه منّي وأرجعه إلى زيد، وإذا علم أنّ هذه الدار التي أسكنها ملك لعمرو أخذها منّي وأرجعها إلى عمرو، فكلّ حقّ يرجع إلى صاحبه بحسب الواقع.

---

(١١٦) وفيات الأعيان ١ / ٣٧٢.

(١١٧) البيان في أخبار صاحب الزمان ـ ط مع كفاية الطالب ـ .

(١١٨) كتاب المزار للشيخ المفيد: ٩، الاحتجاج ٢ / ٣٢٤.

(١١٩) بصائر الدرجات: ٢٥٩، كتاب الغيبة للنعماني: ٣١٤، بحار الأنوار ٥٢ / ٣١٩.

(١٢٠) الكافي ٧ / ٤١٤، حديث ١، باختلاف في الألفاظ.

وعلى هذا، إذا كان الإمام عليه السلام ظهوره بغتة، وكان حكمه بحسب الواقع، فنحن ماذا يكون تكليفنا فيما يتعلّق بنا في شؤوننا

الداخلية والشخصية؟ في أُمورنا الإجتماعية؟ في حقوق اللّه سبحانه وتعالى علينا؟ وفي حقوق الآخرين علينا؟ ماذا يكون تكليفنا وفي كلّ لحظة نحتمل ظهور الإمام عليه السلام، وفي تلك اللحظة نعتقد بأنّ حكومته ستكون طبق الواقع لا على أساس القواعد الظاهرية؟ حينئذ ماذا يكون تكليف كلّ فرد منّا؟

وهذا معنى «أفضل الأعمال انتظار الفرج»[١٢١].

وهذا معنى ما ورد في الروايات من أنّ الأئمّة سلام اللّه عليهم كانوا ينهون الأصحاب عن الإستعجال بظهور الإمام عليه السلام، إنّما كانوا يأمرون ويؤكّدون على إطاعة الإنسان لربّه وأن يكون مستعدّاً لظهور الإمام عليه السلام.

وبعبارة أُخرى: مسألة الإنتظار، ومسألة ترقب الحكومة الحقة، هذه المسألة خير وسيلة لإصلاح الفرد والمجتمع، وإذا صَلُحنا فقد مهّدنا الطريق لظهور الإمام عليه السلام، ولأن نكون من أعوانه وأنصاره.

ولذا أمرونا بكثرة الدعاء لفرجهم، ولذا أمرونا بالإنتظار لظهورهم، هذا الإنتظار معناه أن يعكس الإنسان في نفسه ويطبّق على نفسه ما يقتضيه الواقع، قبل أن يأتي الإمام عليه السلام ويكون هو المطبِّق،

ولربّما يكون هناك شخص يواجه الإمام عليه السلام ويأخذ الإمام منه كلّ شيء، لأنّ كلّ الأشياء التي بحوزته ليست له، وهذا ممكن.

فإذا راقبنا أنفسنا وطبّقنا عقائدنا ومعتقداتنا في سلوكنا الشخصي والإجتماعي، نكون ممهّدين ومساعدين ومعاونين على تحقّق الأرضية المناسبة لظهور الإمام عليه السلام.

وتبقى كلمة سجّلتها عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذه المناسبة، يقول الإمام عليه السلام ـ كما في نهج البلاغة ـ : «ولا تستعجلوا بما لم يعجّله اللّه لكم، فإنّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته، مات شهيداً»[١٢٢].

وعندنا في الروايات: أنّ من كان كذا ومات قبل مجيء الإمام عليه السلام مات وله أجر من كان في خدمته وضرب بالسيف تحت رايته.

يقول الإمام عليه السلام: «فإنّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على اللّه، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النيّة مقام إصلاته لسيفه، فإنّ لكلّ شيء مدّة وأجلاً»[١٢٣].

---

(١٢١) الخصال للصدوق: ٦١٦.

(١٢٢) نهج البلاغة: ٢٨٢ ـ ٢٨٣، خطبة ١٩٠.

(١٢٣) تأويل الآيات: ٦٤٢، البحار ٥٢ / ١٤٤، حديث ٦٣.

ففي نفس الوقت الذي نحن مأمورون بالدعاء بتعجيل الفرج، فنحن مأمورون أيضاً لتهيئة أنفسنا، وللإستعداد الكامل لأن نكون بخدمته، وإذا عمل كلّ فرد منّا بوظائفه، وعرف حقّ ربّه عز وجل وحقّ رسوله صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم وحقّ أهل بيته عليهم السلام، فقد تمّت الأرضية المناسبة لظهوره عليه السلام، ولا أقل من أنّا أدّينا تكاليفنا ووظائفنا تجاه الإمام عليه السلام.

وكنت أقصد أن أُلخّص البحث في بعض الجهات الأُخرى حتّى أُوفّر وقتاً لهذه النقطة الأخيرة التي بيّنتها لكم، وذكرت لكم الدليل العقلي والروائي على وجوب الإلتزام العملي على كلّ واحد منّا بوظائفه تجاه ربّه وتجاه رسوله وتجاه أهل بيت الرسول عليهم السلام.

نسأل اللّٰه سبحانه وتعالى أن يعرّفنا حقّه، أن يعرّفنا حقّ رسوله، أن يعرّفنا حقّ الأئمّة الأطهار، أن يعرّفنا حقّ إمامنا، وأنْ يوفّقنا لأداء الوظائف والتكاليف الملقاة على عواتقنا.

وصلّى اللّٰه على محمّد وآله الطاهرين.

المحتويات

كلمة المركز

الامام المهدي عند ابن تيميّة

الفصل الأوّل: وفيه مطالب

المطلب الأول: في أنّ لهذه الأُمة مهديّاً

رواة الحديث من الصّحابة

المطلب الثاني: في الأحاديث المتواترة في المهدي

الحديث الأوّل: في أنّ من مات ولم يعرف امام زمانه فميتته جاهلية

الحديث الثاني: في أن النبي ترك بين الأُمة خليفتين

الحديث الثالث: في أنّ الخلفاء بعد النبي اثنا عشر

المطلب الثالث: في أنّ المهدي من أهل البيت

المطلب الرابع: في أنّ المهدي ابن الامام العسكري وهو مولود

الفصل الثاني: الأخبار المعارضة

حديث: لا مهدي إلاّ عيسى بن مريم

حديثٌ في أنّ المهدي من ولد الحسن

حديث: إسم أبيه إسم أبي

الفصل الثالث: التساؤلات والشبهات

١ ـ مسألة طول العمر

٢ ـ لماذا غاب وكيف يستفاد منه؟

٣ ـ أين يعيش؟

٤ ـ متى يظهر؟